جامعة عبد الرحمن ميرة كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

مقياس: **مناهج البحث الأدبي**/ ماستر 1/ تخصص: أ ع ح م.

تطبيق رقم 1: جهود "**يوري تينيانوف**" ضمن مدرسة الشكلانيين الروس:

يعد **يوري تينيانوف** (Iouri Tynianov) (1894–1943م) من أهم الكتاب والنقاد والروائيين والمترجمين ومنظري الأدب الروسي. ويعتبر أيضا من المؤسسين الفعليين للمدرسة الشكلانية الروسية إلى جانب **فيكتور شلوفسكي، وأوسيب بريك، وبوريس إيخنباوم، ورومان جاكبسون، وجان موكاروفسكي، ويوري لوتمان، وتوماشفسكي، وجيرمونيسكي،** وآخرين. كما يعد من المؤسسين الفعليين لحلقة الأبوياز **(الأبوجاز)** التي كانت تعنى بدراسة شكل اللغة الشعرية (Poétique). وقد أسهم يوري تينيانوف في المجالين الشعري والسردي، وقدم خصائص منهجيته في مقاربة النصوص وتصنيف الأجناس والأنواع الأدبية.

انشغل **يوري تينيانوف** بالمادة اللغوية والشكل والبناء على حد سواء. فمفهوم "المادة لا يخرج عن حدود الشكل، فالمادة هي، أيضا، شكلية؛ ومن الخطأ خلطها بعناصر خارجية عن البناء."[1]

يعرف **تينيانوف** البناء بأنه شكل قارّ وثابت يحدد النص أو العمل الأدبي. وبالتالي، يقدم لنا نظرة شكلية وبنيوية خاصة بالأثر الأدبي. لذلك استبعد من دراساته النقدية والأدبية والنظرية المقاربات المرجعية والخارجية، واستبدلها بقراءة النص أو العمل الأدبي في ضوء الشكلانية البنيوية. وفي هذا الإطار، يقول **تينيانوف:** "لقد هجرنا ذلك النمط من النقد الذي يعمل على وضع شخصيات الرواية موضع التساؤل والمحاكمة باعتبارها كائنات حية. وعليه، لا يمكن دراسة الشخصية السردية في ضوء المعطيات الخارجية، بل لا بد من دراستها **دراسة بنيوية**، على أنها علامة وبناء وشكل وخاصية قارة، ضمن سياقها النصي الكلي والوظيفي؛ "فالوحدة القارة للشخصية (ككل وحدة قارة للعمل الأدبي).

إذاً يعتبر **تينيانوف** البطل بمثابة **وحدة بنائية ثابتة قارة ضمن السياق النصي**، ويمكن لها أن تخضع لتحولات ديناميكية حسب الوضعيات المعطاة. ويتحدد هذا البطل كما يقول **توماشفسكي** أيضا[2] من خلال **علاماته اللفظية والبصرية والسيميائية**، ومن خلال أفعاله، وكذلك عبر اسم

العَلَم الشخصي وألقابه. أي: يمكن تخصيص البطل بسماته الوصفية وأسمائه التي يرد عليها في سياق نصي ما.

ومن ثم، يتجاوز تينيانوف ثنائية الشكل والمضمون، ويختار **مبدأي الشكل والبناء**. إذن **تينيانوف** لا ينظر إلى الأثر الأدبي إلا كوحدة نسقية كلية ديناميكية، تتفاعل فيها العناصر وتترابط فيما بينها.

ويعني هذا أن **تينيانوف** يهتمّ كثيرا بالشكل والبناء والتحول والهيمنة؛ لأن هذه المفاهيم مهمة في مقاربة النص الأدبي مقاربة شكلانية موضوعية. ويعني هذا كله أن تينيانوف يدعو إلى ربط البناء أو الشكل بالتاريخ والتطور، على أساس أن الأشكال والأبنية تتطور فنيا وجماليا، على الرغم من ثباتها البنيوي القار. بمعنى أن ثمة بعض العوامل البنائية التي تتحكم في الأثر الأدبي في فترة ما، ثم تأتي أبنية شكلية أخرى **لتهيمن** على ذلك الأثر، ضمن نظرية المسيطر والمسيطر عليه. و"هكذا، يتم إدخال البعد التاريخي في مفهوم "مبدأ البناء"، وفي مفهوم "المادة"، مع أن التاريخ الأدبي يبرهن لنا عن استقرار هذه المبادئ الأساسية، واستقرار المادة. لقد كان النظام الوزني الجرسي لشعر لومونوسوف (Lomonossov) عاملا بنائيا، وفيما بعد، في زمن كوستروف (Kostrov)، تم إشراك ذلك العامل في نظام تركيبي ومعجمي معين؛ فضعف دوره المسيطر والمغيّر.

لقد خاض **تينيانوف** في **نظرية الشعر**، كما يتجلى ذلك واضحا في كتابه **(قضايا اللغة الشعرية)**، لقد كشف هذا الكتاب الوحدة الوثيقة فيما بين دلالة الكلمات وبناء الشعر، مُثْريا بذلك، ومن جديد، مفهوم الإيقاع الشعري، واضعا المنهج الشكلي على طريق دراسة المقومات الدلالية للغة الشعرية، وليس فقط تلك المقومات المتعلقة بعلم الأصوات أو بالنظم."[3]

وفيما يخص **الإيقاع**، فقد جعله ميسما رئيسا يميز الشعر عن النثر. وفي هذا الصدد، يقول **بوريس إيخنباوم**: "أما **الإيقاع**، فقد تم تقديمه – هنا – كقاسم بناء وأساسي للشعر، حاضر في جميع عناصره. إن الخصائص الموضوعية للإيقاع الشعري هي، حسب تينيانوف، الوحدة، وتتابع المتوالية الإيقاعية، ومن هنا، يتميز الشعر عن النثر بالإيقاع الذي يستند، بدوره، إلى عنصرين مترابطين هما: الوحدة، وتتابع المتواليات الإيقاعية.

كما درس **تينيانوف** علاقة الإيقاع الشعري بالدلالة والانزياح. وبعد ذلك، يطرح تينيانوف مشكل الدلالة : "أليس علينا أن نهتم، في الشعر، بدلالة محرّفة (منزاحة). فقد برهن على وجود صلة دائمة بين عوامل الإيقاع والدلالة. فوجود الصور اللفظية، ضمن الوحدات الإيقاعية، يعتبر حاسما بالنسبة للأوليات: "إن الصلة التي توحد المقومات أقوى وأمتن من تلك الصلة التي تربط بينها في اللغة العادية. إن علاقة موضعية، غير موجودة في النثر، لتبرز بين الكلمات."[4]

إن جوهر عمل الشكلانيين يتركز في المقومات الأصلية للفن الأدبي هذه الدراسة تركز على **الملامح المميّزة** التي تفرق الفن عن المجالات الأخرى للأنشطة الثقافية؛ تلك المجالات التي لا تكون، بالنسبة لهذه الدراسة، سوى مادة أو أداة. **(الإيقاع مثلا يعتبر من الملامح المميّزة للشعر)** وعليه، فقد قدم **تينيانوف** دراسات جادة شكلية ولسانية فيما يتعلق بدراسة الشعر الروسي بالتركيز كثيرا على **الإيقاع والنظم والنبر واللغة والأسلوب**.

ولم يقتصر عمله على مجال الشعر، والتنظير للأجناس الأدبية فحسب، بل اهتم كذلك بالسرد في كتابه **(دوستوفسكي وغوغول)**؛ فقد درس نصوص هذين الكاتبين معا دراسة بنيوية شكلانية بالتركيز على المعارضة، والباروديا، والتناص، والمحاكاة الساخرة، وصراع الأضداد الذي يتحكم في التطور الأدبي وتطور الأجناس والأنواع الأدبية. وفي هذا السياق، يقول تينيانوف: "حينما نتحدث عن التقليد أو عن التعاقب الأدبي، فإننا نتخيل – بصفة عامة – وجود خط مستقيم يصل خلف فرع أدبي ما بسلفه. ومع ذلك، فإن الوضعية هي أكثر تعقيدا. فليس الخط المستقيم هو الذي يستطيل، بل نشاهد عملية انطلاق تنتظم بدءا من نقطة معينة يتم دحضها... إن كل تعاقب أدبي هو، قبل كل شيء، معركة.. معركة تحطيم كل موجود سلفا، وإقامة بناء جديد انطلاقا من عناصر قديمة."[5]

لقد كان **تينيانوف** أسلوبيا في دراساته السردية، عارفا بجدلية الأجناس والأنواع الأدبية، متعمقا في قضايا اللغة السردية، متأثرا في ذلك **بميخائيل باختين** الذي اشتغل كثيرا على أساليب التهجين في الرواية البوليفونية عند دوستوفسكي، ولاسيما في كتابه **(شعرية دوستوفسكي)**[6].

وخلاصة القول، يتبين لنا، مما سلف ذكره، أن **يوري تينيانوف** قد تمثل المنهج الشكلي في دراسة النص أو العمل الأدبي، بمقاربة المادة أو البناء أو الشكل، مع استبعاد مختلف القراءات

الاجتماعية والنفسية والمضمونية التي كانت سائدة في النقد الروسي الكلاسيكي. ومن ثم، فقد وظف مجموعة من المفاهيم البنيوية لدراسة الأثر الأدبي؛ مثل: **النظام المتعدد**، و**البناء**، و**المادة** و**الشكل**، و**التطور الأدبي**، و**الديناميكية**... وقد أصبحت هذه المفاهيم مصطلحات إجرائية شائعة بين الشكلانيين الروس، وخاصة في تنظيراتهم وتطبيقاتهم الأدبية والنقدية.

المرجع:

- جميل حمداوي، النظرية الشكلانية في الأدب والنقد والفن.

[1]- يوري تينيانوف: (مفهوم البناء)، **نظرية المنهج الشكلي**، ترجمة: إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1982م، ص:75.

[2] – توماشفسكي: (نظرية الأغراض)، **نظرية المنهج الشكلي**، ترجمة: إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة 1982م، ص:205.

[3] – بوريس إيخنباوم: نفسه، ص:58.

[4] – بوريس إيخنباوم: نفسه، ص:59-60.

[5] – نقلا عن بوريس إيخنباوم: نفسه، ص:63.

[6] – ميخائيل باختين: **شعرية دوستوفسكي**، المرجع سبق ذكره.